ملوك الدولة العباسية

ان اول من تولى خلافة الدولة العباسية هو :

١ – **ابو العباس السفاح** : واسمهُ عبد الله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس عم النبي .

بويع بالخلافة يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ « ٧٥٠ م » فانتقل من الحيرة الى الأنبار وجعلها عاصمة ملكه .

كان ابيض اللون طويل القامة اقنى الانف متجعد الشعر حسن الوجه واللحية جواداً سديد الرأي كريم الاخلاق ذا فضل وحزم ومخاشنة . واشترى بردة النبي باربع ماية دينار .

لكنه كان سفاكاً للدماء شديد البطش شأن كثير من مؤسسي الدول . ولقب بالسفاح لما سفح من دماء المبطلين . وكان يقال لهُ المرتضي والقائم ايضاً . استُخلف وعمره تسع وعشرون سنة .

وكان اصغر سنّاً من اخيه المنصور . ولما استوثق لهُ الامر تتبّع بقايا بني أُمية فالقى القبض عليهم ثم امّنهم واذن لهم في شهود مجلسه . وفيما هم على مائدته يأكلون مطمئنين أمر فضُربوا بالسيوف والعُمُد وبسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فاكل الطعام وهو يسمع انين بعضهم حتى ماتوا جميعاً . وكان عددهم نحو التسعين . وبالغ بنو العباس في استئصال شأفة بني أُمية حتى نبشوا قبورهم بدمشق واستصفوا اموال اصحابهم . ثم لم تطل مدة السفاح حتى توفي بالجدري في ثالث عشر ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ « ٧٥٤ م » وعمرهُ ثلاث وثلاثون سنة . وكانت مدة خلافته اربع سنين وثمانية اشهر . ودفن بالانبار . وكان نقش خاتمه : « **الله ثقة عبد الله .** »

٢ — **المنصور العباسي** : هو ابو جعفر عبد الله بن محمد ثاني خلفاء بني العبّاس . بويع بعد وفاة اخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ « ٧٥٤ م » وهو حاجّ وتلقب « بالمنصور بالله » وهو اول من تلقب من الخلفاء . وكان طويلاً اسمرَ خفيف اللحية رحب الجبهة اقنى الانف صارماً مهيباً شديد البطش كريم الاخلاق موصوفاً بالذكاء والفراسة . وكان من عظماء الملوك وذوي الآراء الصائبة يلبس الخشن من الثياب وربما رقع قميصه . ولم يكن في دارهِ لهوٌ ولعب . وهو الذي ضبط العساكر ونظّمها ورتب القواعد واقام

الناموس . وكان بخيلاً يُضرب ببخله المثل وسمي ابا الدوانق لمحاسبته العمال والصناع على الدانق والحبة . وكان يشتغل في صدر نهاره في الامر والنهي والولايات وشحن الثغور والاطراف والنظر في الخراج والنفقات ومصالح الرعية . فاذا صلّى العشاء نظر في ما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف . وكان ولاة البريد يكتبون اليه كل يوم بسعر القمح والحبوب والادام وكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم وما يرد الى بيت المال وكل ما يحدث . وهو الذي بنى بغداد خوفاً من ثورة الاعداء عليه بالكوفة فخطّها وامر بحفر أسسها فأقيمت المدينة وجعلها المنصور دار الخلافة وكانت اول مدينة عظيمة في مملكة الاسلام وكان عدد سكانها على ما قيل نحو مليونين .

وفي ايامه نبغت الدولة البرمكية ، وكان السفّاح قبله قد استوزر خالد بن برمك وكان عظيم المنزلة عنده ، فكثر الوافدون على باب خالد وانتجعه الناس ومدحوه . فلما تولى المنصور الخلافة اقرّه على وزارته واكرمه واستشاره . وكان بلاطه فخماً . ولما مات ترك وراءه ثروة واسعة قدّرها بعضهم بمئة وخمسين مليوناً . وكانت وفاته « ببئر ميمون » يوم السبت سادس ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ « ٧٧٥ م » ودفن « بالمعلّى » بظاهر مكة مكشوف الرأس وعمره ثلاث وستون سنة . وكانت

خلافتهُ احدى وعشرين سنة واحـــد عشر شهراً وثمانية ايام .
ونقش خاتمه : «عبد الله وبه يؤمن .»

٣ ــ المهدي بن المنصور : هو محمـد بن عبد الله المنصور بالله ويكنى ابا عبـدالله . الثالث من خلفاء بني العباس باندوح سنة ١٢٧ هـ « ٧٤٥ م » مات ابوهُ في الحج وكان عهد اليـــه بالخلافة فاتاه الخبر الى مدينـــة السلام بغداد في سادس عشر ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ « ٧٧٥ م » فخطب في القوم ونعى اليهم اباه وقال ان امير المؤمنين عبدٌ دعي فاجاب وأُمر فاطاع . ثم اغرورقت عيناه بالدموع وقال : لقد فارقتُ عظيمـاً وقُلّدتُ جسيماً . فبايعهُ الناس . واول من بيّن تعزيتهُ وتهنئتهُ ابو دلامة فقال :

عيناي واحـدةٌ تُرى مسرورةً
بأميرها جَـذلى وأُخرى تَذْرفُ

تبكي وتضحك تارةً ويسوءُهـــا
ما انكرتْ ويَسُرُّهـا ما تعرفُ

فيسوءُهـا موت الخليفة مُحرِماً
ويسُرُّهـــا ان قام هذا يخلفُ

وكان المهدي اسمر طويلاً معتـــدل القامة جعد الشعر على

عينهِ اليمنى نكتة بياض، وكان جواداً عالماً حليماً وشهماً كريماً شديداً على اهل الالحاد والزندقة . ولما ولي اطلق من كان في سجن ابيه ، ووصل ذوي القربى ، وبرَّ اهلهُ واقرباءَهُ ومواليه ، وقرَّر لكل واحدٍ من اهل بيتهِ في كل سنة ستة آلاف درهم، وفرَّق في الناس اموالاً كثيرة فاغنى كل فقير وجبر كل كسير وفرَّج عن كل مكروب. وكان يجلس في كل وقت للمظالم . وهو الذي بنى جامع الرصافة ببغداد. وكان صاحب نسك وورع فلبس الصوف وعمَّ الناس بالعدل والمعروف. وكان يسمَّى راهب بني العباس لنسكهِ وديانتهِ . وفي ايامـــهِ شبت بعض الثورات الداخلية اعظمها ثورة المقنع الخراساني وهو رجل ساحر ادعى النبوَّة وكان لا يسفر عن وجههِ بل اتخذ لهُ وجهاً من ذهب تقنَّع بهِ فسمي المقنَّع. لكن المهـــدي تمكن من اخماد تلك الثورات وحاصر المقنع حتى حملهُ على الانتحار. وقبل ان المقنع قتل جميع نسائهِ بالسم قبل ان ينتحر. وسيَّر المهدي جيشاً الى القسطنطينية بقيادة ابنهِ هارون الرشيد فغنم شيئاً كثيراً، وكان صاحب الروم يومئذٍ « ايريني » امرأة الملك لاون الرابع الوصية على ابنها قسطنطين السادس ، فخافت وطلبت الصلح من الرشيد على ان تدفع لهُ فدية سبعين الف دينار كل سنة فرجع عنها .

وفي سنة ١٦٩ هـ « ٧٨٥ م » مات المهدي « بماسَبَذان » في ثالث عشر المحرَّم عن ثلاث واربعين سنة من عمرهِ ودُفن فيها . واختُلف في سبب موتهِ فقيل مات مسموماً بيد جارية من جواريه اسمها حسنة . وقيل حاز صيداً فدخل وراءَهُ الى خربة فدقَّ الباب ظهرهُ فمات . وكانت خلافتـــهُ عشر سنين وشهراً وخمسة ايام. وكان نقش خاتمهِ : « العزة لله . »

٤ — **خلافة الهادي :** هو ابو محمد موسى بن محمد المهدي رابع الخلفاء العباسيين . بويع بالخلافة في بغداد يوم وفاة ابيهِ المهدي لثمانٍ بقينَ من المحرَّم سنـة ١٦٩ هـ « ٧٨٥ م » وكان اذ ذاك بجرجان فتولى اخذ البيعـــة لهُ اخوهُ الرشيد . وكان طويلاً جسيماً ابيض الشعر . تتبع الزنادقة « وهم الفرس الذين كانوا ينكرون التعاليم الاسلامية » فقتل منهم جماعـة . وقلَّ ما كان في خلافتهِ من الاحداث . توفي يوم الجمعـة رابع عشر ربيع الاول سنة ١٧٠ هـ « ٧٨٧ م » ودُفن بقصرِ « بعيساباد » وعمرهُ ست وعشرون سنة . وقد اختُلف في سبب موتهِ فقيل انه اصابتهُ قرحة في جوفهِ . والمشهور من اقوالهم ان امـــه المسماة الخيزران عملت على قتلهِ فانها كانت تستبـــد بالامور دونهُ . وكلمته يوماً في حاجةٍ لم يجد الى اجابتها سبيلاً فقالت : لا بد من الاجابة اليها . فغضب الهادي وقال : والله لا قضيتها لكِ .

قالت: اذاً لا اسألك حاجة ابداً. قال: لا ابالي. فقامت مغضبةً فقال: مكانك! والله لئن بلغني انهُ وقف في بابكِ احدٌ من قوادي لأضربنّ عنقهُ. ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابكِ؟ أمالكِ منزلٌ يشغلكِ او مُصْحفٌ يذكّركِ او بيتٌ يصونكِ؟ فانصرفت وهي لا تعقل. ووضعت جواريها عليها لما مرض فقتلنهُ بالغمّ وبالجلوس على وجههِ فمات.

وكانت خلافتهُ سنة وثلاثة اشهر. ونقش خاتمه: «بالله اثق.»

٥ — **هارون الرشيد**: هو هارون بن محمد المهدي ويكنى ابا جعفر وامهُ الخيزران. بويع بالخلافة ليلة مات اخوه الهادي، وذلك ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ١٧٠ هـ «٧٨٧ م» وكان عمرهُ حينئذٍ اثنتين وعشرين سنة. وهو الخامس من الخلفاء العباسيين واعظمهم خليفةً واكملهم رأياً وتدبيراً وفطنةً.

وكان طويلاً سميناً جميلاً ابيض جعداً قد وخطهُ الشيب، وكان به حَوَل في احدى عينيهِ لا يبين الا لمن تأمّلهُ.

وكان طلق الوجه حسن الرأي والتدبير لين الجانب طيب النفس فكهاً يحب المزاح واللهو، كثير البكاء من خشية الله، يصلي

كل يوم مئة ركعة ولا يتركها الاّ لعلة . ويتصدّق كل يوم من صلب مالهِ بالف درهم بقدر زكاته . يجلس مع الناس على الطعام ويبذل الصِلات . وكان لا يضيع عندهُ احسان محسنٍ . يتواضع لاهل الادب والفقه ويكره المراء في الدين . ويحبُّ العلم ويؤثرهُ ويستفيدهُ . ويحبُّ الشعر ويجيد نظمهُ . ويروى لهُ اشعار حسان منها قولهُ في ثلاث جوارٍ :

« ملك الثلاثُ الفانياتُ عناني
وحللنَ من قلبي بكلّ مكانِ »

« ما لي تطاوعني البريّةُ كلها
واطيعهنَّ وهنَّ في عصياني ؟ »

« ما ذاك الاّ انّ سلطان الهوى ،
وبهِ قوينَ ، اعزُّ من سلطاني »

وكان يكبر منزلة الشعراء وأهل الادب والعلم في مجالسه الخاصة والعامة ويميل اليهم كثيراً حتى قيل انه لم يجتمع على باب ملك او سلطان من الشعراء والعلماء والندماء ما اجتمع على بابهِ . واشتهر في ايامهِ ، وزراؤه البرامكة وهم من العجم وأشهرهم يحيى وجعفر والربيع ، وكان الرشيد يكرمهم في بدء الأمر ويثق

بهم ثم نقم عليهم فقتلهم وأباد آل برمك وكانوا من أشهر الناس في السخاء وحسن الادارة[1].

وفي أيام الرشيد اتسعت التجارة وكثرت الأموال وزهت

---

١ كان للخليفة هارون الرشيد مجالس عامة ومجالس خاصة . فبالمجالس العامة كان الرشيد يجلس على العرش في صدر قاعة قصر الخلافة الكبرى وراء أستار عدة ، وحوله مئة من الحرس الاشداء مرتدين زيه الرسمي وشاهرين سلاحه . ويقف حول العرش يمنة ويسرة وزراء الدولة واعيانها وكبارها . وكان على من يود الدخول على الخليفة ان يطلب الاذن اولاً من الحجّاب ، وبعد ان يناله ترفع الستور الشفافة فيدخل ويؤدي التحية للخليفة ، وكانت التحية تقوم باحناء الرأس قليلاً وبوضع اليد اليمنى على الصدر ثم رفعها الى الجبهة . ثم يدعو بحضرة الخليفة بالخير والعدل والبركة . وبعد ذلك يبسط ظلامته او الامر الهام الذي جاء من اجله .

اما مجالس الخليفة الخاصة فلم يكن ليحضرها هذا العدد الكبير من الحرس المسلّح ، بل كان ولي العهد يجلس على اريكة من يمين العرش ثم يجلس حوله امراء البيت المالك والموظفون كل بحسب درجته ، وكان يحضر هذه المجالس العلماء والشعراء والفلكيون والرياضيون والرواة والمحدّثون والاطباء والصيادلة والقضاة واهل الرحلات والاسفار . وكان حديثهم يتناول العلوم والآداب . واجمل المجالس هي التي كان يلقي فيها الشعراء قصائدهم في مدح الخليفة . او التي كان يوعز فيها اليهم الخليفة ان يهجو بعضهم بعضاً . وكان اعظم المجالس الخاصة تلك التي كان يعقدها البلاط في عيد رمضان والافطار والاضحى حول الموائد السخيّة .

العلوم والمعارف . ولا ريب ان الخلافة الاسلامية وصلت في ايامه الى اوج مجدها . فعصر الرشيد هو العصر الذهبي في تاريخ العرب والاسلام .

وفي أيامه كانت موقعة القسطنطينية مع نيقوفور ملك الروم الذي قاتله الرشيد وافترض عليه غرامة يدفعها له كل سنة وقدرها ثلاثون ألف دينار . وفي سنة ١٩٣ هـ «٨٠٩ م» بلغ الرشيد عصيان عامله رافع بن الليث على خراسان الذي أغار على مدينة سمرقند وافتتحها فخرج الى قتاله ، ولمّا بلغ الى جرجان اشتد مرضه فسار الى مدينة طوس ومات ودفن فيها في جمادى الاولى من السنة نفسها .

وكان عهد بالخلافة بعده الى ابنائه ، الى الامين اولاً ومن بعده الى المأمون ، والى القاسم ولقبه المؤتمن بعد المأمون . وجعل امر استقرار القاسم وعزله الى المأمون . وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وبعض ايام وعمره سبعاً واربعين سنة . ونقش خاتمه : «كن من الله على حذر .»

٦ ـ **الأمين بن هارون الرشيد** : هو أبو عبد الله محمد ابن هارون الرشيد سادس الخلفاء العباسيين ، ولد بالرصافة شرقي مدينة السلام «بغداد» في شوال سنة ١٧٠ هـ . وكان ابيض طويلاً سميناً صغير العينين به أثر جدري . وكان كريماً يعطي

الصلات الكثيرة . بايعه عسكر أبيه الرشيد فتحول الى قصر الخلافة ببغداد فرقي المنبر بجامع الرصافة وحمد الله واثنى عليه ثم قال: يا ايها الناس خصوصاً يا بني العباس، ان المنون بمرصد لذوي الانفاس حتمٌ من الله لا يُدفع حلوله ولا ينكر نزوله، فارتجعوا قلوبكم من الحزن على الماضي الى السرور بالباقي تحوزوا ثواب الصابرين وتعطوا اجر الشاكرين. فعجب الناس من جرأته وقاموا فبايعه مع جنده وقواده جملة اهل بيته . فأمر للجند بمدينة السلام برزق سنتين . ودخل عليه المهنئون فتقدم أبو نواس فهنأه بالخلافة وعزاه في الرشيد بأبياتٍ قال فيها :

جرت جوارٍ بالسعد والنحسِ
فنحن في وحشةٍ وفي أنسِ

العينُ تبكي والسنُّ ضاحكة
فنحنُ في مأتمٍ وفي عرسِ

يضحكها القائمُ الامين ويبكيها
وفاة الرشيد بالامسِ

بدرانِ : بدر ضحى ببغداد في الخلدِ
وبدرٌ « بطوس » في الرمسِ

ثم قُدمت اليه البردة والقضيب والخاتم ووفدت عليه زبيدة امه من الرقة ومعها خزائن الرشيد فدفعتها اليه .

ومما يحكى عنه انه كان ضعيف الرأي مدمناً الخمر منهمكاً بالملاهي واللذات، ارسل الى جميع البلاد في طلب الملهين وضمهم اليه واجرى عليهم الارزاق واحتجب عن اخوته واهل بيته وقسم الاموال والجواهر في خواصه وفي النساء والخصيان . ثم انه كان يعتني عناية خاصة بنزهاته على امواج دجلة فشيّد السفن البديعة وكان يذهب فيها الى ضواحي بغداد واريافها مع ندمائه وغانياته . وكانت ألحان الموسيقى العربية واصوات الغانين والغانات في هذه النزهات تمتزج باصوات الامواج المتدفقة الصاخبة .

واصطنع الامين في دجلة خمس حراقات إحداها على صورة الاسد. والثانية بصورة الفيل. والثالثة بصورة العقاب. والرابعة بصورة الحية . والخامسة بصورة الفرس . وانفق في عملها مالاً عظيماً . وقد وصفها شاعره أبو نواس وصفاً بديعاً ، ولعل معظم الطلاب الذين درسوا أدب هذا الشاعر يعرفونها لانها قريبة الى القلب محببة الى النفس . قال أبو نواس :

سخّرَ الله للامين مطايا
لم تُسَخَّر لصاحبِ المحرابِ

فاذا ما ركابه سرنَ برّاً
سار في الماء راكباً ليثَ غابِ

عجب الناس اذ رأوك عليه
مثلَ ليثٍ يمرُّ مرَّ السحابِ

سبّحوا اذ رأوك سرتَ عليه،
كيف لو ابصروك فوق العقابِ

ذات زَورٍ ومنسرٍ وجناحين
تشقُّ العُباب بعد العُباب

تسبق الطيرَ في السماء إذا ما
استعجلوها بجيئةٍ وذهابِ

ويروى عنه ايضاً انه لمّا ولي الخلافة استبطأ الناس جلوسه وقالوا : قد تشاغل باللهو . ثم ما لبث ان جلس وامضى الأمور وقال : أتراني لا اعرف الاصدار والايراد ولكنْ شرب كاسٍ وشمُّ آسٍ واستلقاء من غير نعاسٍ أحبُّ إليَّ من مداراة الناس .

وكان قد وقع بينه وبين اخيه المأمون فتنة فأقبل ينكث عهد المأمون وسعى بخلعه والبيعة لابنه موسى ولقّبه بالناطق بالحق، فأمر له بالدعاء على المنابر، ونهى عن الدعاء للمأمون، وأمر

بابطال ما ضرب المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان، فنما الشر بينهما، فجهز المأمون لقتاله طاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين فسارا اليه وحاصراه ببغداد وترامو بالمجانيق وأقاما الحصار مدة سنة فتضايق الأمر على الامين وفارقه أكثر اصحابه، وكتب طاهر الى وجوه بغداد سرّاً يعدهم ان اعانوه ويتوعدهم ان لم يدخلوا في طاعته، فأجابوه وصرّحوا بخلع الأمين فنجا الأمين بنفسه وركب حراقة له فرموا الحراقة بالحجارة فانكفأت بمن فيها فشقّ الأمين ثيابه وسبح الى بستان فأدركوه وهو عريان وحملوه الى طاهر فحبسه في بيتٍ وارسل اليه ليلاً قوماً من العجم فقتلوه واحتزوا رأسه فنصبه طاهر على برج من ابراج بغداد ثم ارسله الى المأمون وكتب له بالفتح وارسل اليه الخاتم والبردة والقضيب، فشكر المأمون الله على ما رزقه من الظفر. وكان قتل الامين لست بقين من المحرّم سنة ١٩٨ هـ «٨١٤ م». وكانت مدة خلافته اربع سنين وثمانية أشهر. وكان عمره ثماني وعشرين سنة. ونقش خاتمه: «**حسبي القادر.**»

٧ — المأمون أخو الأمين: هو ابو العباس عبد الله بن هارون الرشيد سابع الخلفاء العباسيين، صارت اليه الخلافة في الخامس عشر من المحرم سنة ١٩٨ هـ «٨١٤ م» وهو اذ ذاك بمرو فتوجه الى بغداد فبايعوه، واكتفى في خلافته بأبي جعفر

تفاؤلاً بكنية المنصور والرشيد في طول العمر . وكان ابيض الوجه اجنأ العين جميلاً مربوعاً طويل اللحية ضيّق الجبهة بخده خال اسود تعلوه صفرة شجاعاً مهيباً موصوفاً بالحذاقة والادب، ومن اتم رجال بني العباس حزماً وعزماً وفراسة وفهماً ، أخذ من جميع العلوم بقسطٍ وضرب فيها بسهم واستخرج كثيراً من كتب الطب . وكان عظيم العفو جواداً بالمال ، فكان يقول : لو يعلم الناس ما أجد في العفو من اللذة لتقربوا إليّ بالذنوب. وكان ديّناً عارفاً بالعلم فيه دهاء وسياسة حتى لقبوه بفيلسوف الخلفاء وعالمهم . له شغفٌ بمطالعة التواريخ والأدب ومشاركة في كثير من العلوم والفنون ولاسيما علم الافلاك والنجوم والطب. وكان كثير الميل الى مناصرة العلم والعلماء حتى شحن ديوانه بالشعراء والعلماء وأرباب الانشاء . ويقال انه عند جلوسه على سرير الخلافة جمع مكتبة عظيمة من الكتب اليونانية والسريانية والعبرانية فاستجار مَهَرة التراجمة وكلفهم ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية الى العربية من جملتها كتاب اقليدس في فن الهندسة، ثم حرض الناس على قراءتها ورغّبهم في تعلّمها ، وبنى المراصد ووضع فيها الآلات . وكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذّ بمذاكرتهم، فنبغ منهم في ايامه الفلكيون والرياضيون والفلاسفة وغيرهم، وله في الفلسفة آراء حسنة .

وكان مع هـــذه الاوصاف والصفات من ارباب الغزو والفتوحات . فهو الذي غزا بلاد صقلّية «سيسيليا» في اوروبا وتغلّب عليها وافتتح جزيرة كريت وغيرها من مدائن الشرق التي كانت تحت تسلط الرومانيين . وكان بلاطه كبلاط ابيه في غاية الابهة والفخامة . ومرض المأمون سنة ٢١٨ هـ «٨٣٣ م» . ولما شعر بدنو الاجل عهد بالخلافة بعده الى اخيه المعتصم بالله . ودفن في طرسوس بدار جلعان خادم الرشيد ابيه . وعن ابن خلدون انه توفي في طرطوس وكانت وفاته في رجب من السنة المذكورة وعمره سبع واربعون سنة وستة اشهر وعشرة ايام . وكانت مدة خلافته عشرين سنة . ونقش خاتمه : «**عبد الله يؤمن بالله مخلصاً .**»

٨ — **المعتصم بالله بن هارون الرشيد** : هو ابو اسحـــق محمد بن الرشيد ثامن الخلفاء العباسيين ، بويع له يوم وفاة المأمون ، ولما بويع له تشغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون ، فخرج اليهم العباس وقال لهم : قد بايعت عمي . فسكتوا . وتوجه المعتصم الى بغداد مقر الخلافة . وكان ابيض اصهب اللحيـــة طويلها مربوعاً مشرّب اللون حمرةً شديد البأس عظيم القوة ، قيل كان يحمل الف رطل ويمشي بها . وكان من العظماء الموصوفين بالحزم ذوي المناقب الوافرة والفتوح الظاهرة والفضائل الجمة والهمـة

العالية ، جدّ في إعزاز الدين وحجّ قبل الخلافة ، وهو اول من اضاف الى اسمه اسم الله فقيل المعتصم بالله .

وجرت لهُ في خلافته فتوح لم تكن لأحد من الخلفاء ، منها فتح عمّورية الذي انشدهُ فيه ابو تمام الطائي قصيدته المشهورة :

السيف اصدق انباءً من الكتبِ
في حدّهِ الحدُّ بين الجِدّ واللعبِ

ومنها :

يا يوم وقعة عموريةَ انصرفت
عنك المنى حُفّلًا معسولةَ الحَلَبِ

وختامها :

ابقت بني الاصفر المصفرّ كاسمهم
صفرَ الوجوهِ وجلّت اوجهُ العَرَبِ

وهي طويلة عددها ٧٣ بيتاً اعطاه المعتصم جائزتها ثلاثة وسبعين الف دينار . وانتشأ المعتصم عامياً يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءَة ضعيفة . وهو اول من استخدم الاتراك التترية لمحافظة الثغور والحدود ، وبلغ عددهم عندما ادخلهم دواوينه تشبهاً بملوك الاعاجم ثمانية عشر الفاً ، والبسهم اطواق الذهب والديباج ، فقويت شوكتهم وصاروا على تمادي الايام

اصحاب النهي والامر يقتلون ويولّـون من شاؤوا من الولاة والعمال حتى لم يبقَ للخليفة في ايامهم من الحكم الاّ مجرد الخطبة والاسم . وكانت جميع الامور في ايديهم كما كانت في ايـدي المماليك في الديار المصرية، فضاقت بهم المدينة وتأذّى بهم الناس، فبنى المعتصم مدينة سُرّ من رأى بقرب بغداد واسكنهم فيهـا وانتقل اليها سنة ٢٢٠ هـ « ٨٣٦ م ». وكان المعتصم يقول بخلق القرآن كالمأمون ويجلد من لا يقول ذلك .

ومن الاحداث في ايامهِ خروج بابك المجوسي واستيـلاؤهُ على جبال طبرستان مدة عشرين سنة، فارسل اليه المعتصم قائد جيشه الافشين خيذر فانتصر عليـه واسرهُ واحضرهُ الى المعتصم فقتله. ثم غضب المعتصم على الافشين وحبسه حتى مات في حبسهِ وصلب جثتهُ ثم احرقها . وخرج بفلسطين رجل اسمه ابو حرب المبرقع اليماني الذي كان يعيب الخليفة، فدرى بهِ المعتصم وارسل اليه رجاء بن ايوب الحضاري فقاتلهُ واسرهُ وحمله الى سُرّ من رأى « سامرّا » .

وتوفي المعتصم لثماني عشرة مضت من ربيع الاول سنة ٢٢٧ هـ « ٨٤٢ م » بعد ان قتل في ايامهِ ثمانية ملوك وفتح ثمانية بلدان. وكانت خلافتهُ ثماني سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وعمرهُ ثماني واربعين سنة . واولاده ثمانيـة من الذكور وثمانٍ من الاناث

فسمّي « المثمّن » من بني العباس لما كان فيه من نسبة الثمانية من عمرهِ ومدة خلافتهِ ووفاتهِ واولادهِ ومواريثهِ . وكان نقش خاتمهِ : « الحمد لله الذي ليس كمثله شيءٌ . »

٩ — **الواثق بن المعتصم** : هو ابو جعفر هارون بن المعتصم ابن هارون الرشيد تاسع الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة يوم وفاة ابيهِ في سامرّا « سُرَّ من رأى » . وكان جسيماً ابيض تعلوهُ صفرة حسن الوجه واللحية في عينهِ اليمنى نكتة بياض . وكان لبيباً فصيحاً شاعراً يتشبه بعمهِ المأمون في اخلاقهِ وكرمهِ وعلمهِ لانهُ هو الذي رباهُ فقبل افعالهُ . وحجّ بالناس واحسن الى بني الطالبيين وبرّهم . وكان محبّاً للنظر في العلم مكرماً لاهلهِ مبغضاً للتقليد محبّاً للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين . ولم يقع في ايامهِ من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر . وفي عهدهِ غزا المسلمون في البحر جزيرة صِقِلّيّة وفتحوا مدينة مسينا في عهد الملكة تاودورة ملكة الروم .

وفي سنة ٢٣٢ هـ « ٨٤٦ م » لما حضرت الواثق الوفاة امر بطي البساط من تحتهِ وألصق خدهُ بالارض وجعل يقول : يا مَنْ لا يزول ملكهُ ارحم من قد زال ملكُهُ . وتوفي بمرض الاستسقاء لستّ بقينَ من ذي الحجة ودفن بسُرَّ من رأى . وكانت خلافتهُ

خمس سنين وتسعة اشهر . وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة. وكان نقش خاتمه : «الله ثقة الواثق.»

١٠ ــ **المتوكل على الله بن المعتصم** : هو ابو الفضل جعفر اخو هارون الواثق بن المعتصم عاشر الخلفاء العباسيين، بويع بالخلافة بسُرَّ من رأى بعد وفاة اخيه ولهُ من العمر ست وعشرون سنة . وكان اسمر خفيف الجسم والعارضين قصيراً حسن العين سهل الاخلاق كريماً حجَّ قبل الخلافة . غير انه كان منحرفاً عن العلم وحرية الرأي يضطهد العلماء، فخيَّم الجهل على بغداد في ايام خلافته بعد ان كانت المركز الممتاز للادب والعلوم.

ذكر بعضهم انهُ حدثت في ايامهِ زلازل شديدة في الشام وخراسان واليمن. ولما ولي الامر امر بهدم قبر الحسين بن علي بن ابي طالب وان يبذر ويسقى موضعهُ ويمنع الناس من اتيانهِ . ثم ثار في ايامه الارمن فاخضعهم واخرج احمد بن حنبل من السجن ووصلهُ. وامر بترك الجَدَل في القرآن وان الذمة بريئة ممن يقول بخلق او بغير خلق .

وفي ايامه ايضاً غزا الروم مصر وبدأت الدولة العباسية بالتقهقر . وكان مولعاً بالبناء ، فبنى قصوراً انفق عليها اموالاً عظاماً .

وفي سنة ٢٤٧ هـ «٨٦٢ م» كثر المماليك الاتراك في بغداد

فاستولوا على المملكة وصار بيدهم الحل والربط والولاية والعزل الى ان حملهم الطغيان على العدوان فسطوا على الخليفة المتوكل. وكان المتوكل عقد البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم المنتصر والمعتز والمؤيد، ثم ندم على عهده لابنه المنتصر وابغضه لما كان يتوهم فيه من استعجاله الامر لنفسه، وكان يسميه «المستعجل»، فواطأ المنتصر المماليك الاتراك على قتل ابيه فدخل قائدهم باغر ورجاله على الخليفة في مجلس انسه وعنده الوزير الفتح بن خاقان، فصاح الفتح: ويلكم هذا سيدكم! ورمى بنفسه على الخليفة ليقيه القتل فقتلوهما معاً. فكان اول خليفة قتله الاتراك. ومن ذاك الحين ابتدأ نفوذهم في الدولة حتى اصبحوا وهم القابضون على كل شيء فيها. وكانت مدة خلافة المتوكل اربع عشرة سنة وعشرة اشهر ودفن بسُرَّ من رأى وعمره اربعون سنة. وكان نقش خاتمه: «**على الله توكلت.**»

الباقون من الخلفاء العباسيين

اما الباقون من الملوك العباسيين فعندما اعتمدوا الموالي في خلافتهم كان لهؤلاء نفوذٌ كبير في بلاطهم . وما زال هذا النفوذ يزداد حتى استفحل جداً في القرن العاشر فاصبح الخلفاء آلات بايدي المتنفذين من العجم والاتراك، وادّى بهم الامر الى انحلال الخلافة العباسية وتجزئتها الى امارات مستقلة لا تعترف للخليفة الاّ بالسيادة الدينية فقط . فنتج من ذلك ان مرّ على الخلفاء العباسيين ثلاثة ادوار سياسية :

١ — **الدور العسكري التركي** : وفيه كان النفوذ الاكبر لامراء الجند التركي الذي كان المعتصم قد شكّلهُ كحرس للخليفة فاصبحوا لضعف الخلفاء الآمرين الناهين واصبح الخلفاء آلات يتلاعبون بهم كما يشاؤون. وقد امتدّ هذا الدور الى ظهور بني بويه واستيلائهم على بغداد سنة ٣٢٠ هـ « ٩٣٣ م » .

٢ — **الدور الفارسي (البويهي)** : وفيه كان النفوذ لبني بويه امراء فارس . ويمتدُّ الى استيلاء الاتراك السلاجقة على بغداد في السنة ٤٤٩ هـ « ١٠٥٧ م » .

٣ ـ **الدور السلجوقي** : ظهر السلاجقة في تركستان ، ثم اكتسحوا الاقاليم الشرقيـــة واستولوا على بغداد . وفي ابان مجدهم كانت سيادتهم على كل البلاد الشرقيـة « ما عدا مصر » من الاناضول الى الهنـــد . وظلوا اصحاب النفوذ في الخلافة العباسية حتى كانت غارات المغول واستيلاؤهم على بغداد وقتلهم المستعصم آخر الخلفاء العباسيين وذلك في السنة ٦٥٦ هـ «١٢٥٨ م».

ثم نتج ايضاً من ضعف الخلافة في بغداد تجزؤ المملكة الى دول متفرقة وولايات متعددة .

فكانت خراسان ومـــا وراء النهر لابن سامان الفارسي وذريته وتسمّت الدولة السامانية.

واصبهان وفارس لبني بويه وتسمّت الدولة البويهية .

وحلب وما بين النهرين لسيف الدولة الحمـداني وتسمت الدولة الحمدانية .

وديار مصر لاحمد بن طولون وتسمت الدولة الطولونية .

وبلاد البحرين للقرامطة .

واليمن لابن طباطبا .

والاهواز وواسط لمعز الدولة .

وغيرهم من الملوك الذين تغلبوا على مصر في ازمنة مختلفـة كالاخشيديين والفاطميين والايوبيين والمماليك الجراكسة .

١١ — **المنتصر بالله** : هو ابو العباس محمد بن جعفر المتوكل . الحادي عشر من الخلفاء العباسيين . بويع بالخلافة في الصبيحة التي قُتل فيها ابوهُ المتوكل وخلع اخويه من البيعة التي اخذها لهما ابوهما . وكان قصيراً جسيماً اثم ضخم الهامة عظيم البطن على عينه اليمنى اثر وقعٍ اصابهُ في صغرهِ . وكان شيعياً ومن كلامهِ : ما ذلّ ذو حقٍّ وان اطبق الناس عليه ولا عزّ ذو بُطلٍ ولو طلع القمر من بين عينيه . توفي يوم الاحد خامس شهر ربيع الآخر من سنة ٢٤٩ هـ « ٨٦٣ م » ودفن بالحوسق من سُرّ من رأى . وسبب وفاته ان المماليك الاتراك استولوا على المملكة فدسوا الى طبيبهِ ليسمّه ففصدهُ ببضع مسموم فمات . وقيل جلس يوماً على بساط ديباج فرأى في دائرة فيه كتابةً بالفارسية فقال: ما هذه الكتابة ؟ فقُرئت فاذا هي : انا شيرويه بن كسرى قتلت ابي فلم امتع بالملك بعده . فتغير وجهه وقام عن مجلسهِ فلم يبقَ بعد ذلك الا يسيراً ومرض فعادتهُ امهُ وسألتهُ عن حالهِ فقال : افسدتْ ديني دنياي . رأيت ابي الساعة وهو يقول : قتلتني يا محمد لاجل الخلافة فوالله لا تتمتع بها الا ّ اياماً . فما لبث بعد ذلك ان مات وكان عمرهُ خمساً وعشرين سنة . ومدة خلافتهِ ستة اشهر .

١٢ — **المستعين بالله** : هو ابو العباس احمد ابن الامير محمد

ابن المعتصم ثاني عشر الخلفاء العباسيين . بايعهُ الامراء واكابر المماليك بعد وفاة المنتصر في شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٩ هـ «٨٦٣ م» ولم يولوا احداً من ولد المتوكل لئلا يطالب بدمهِ . ولما دعي ليبايَع قال: استعين بالله. فلقّب المستعين. وكان ابيض حسن الوجه ظاهر الدم وبوجههِ اثر جدري. وكان مسلّماً الى الله تعالى في امورهِ كثير التضرع اليه في حالتي شدتهِ ورخائهِ سديد الآراء حسن التدبير ذا سخاء وجود اديباً شاعراً .

وكانت ايامهُ شديدة الاضطراب وايام فتن وحروب وخروج خوارج، وقويت شوكة الاتراك في بغداد واتسع بينهم وبين العامة مجال الخصام ، فألجئَ الى خلع نفسهِ في ثالث عشر المحرم سنة ٢٥٢ هـ « ٨٦٧ م ». وكانت خلافتهُ ثلاث سنين وثمانية اشهر . وقتل بعد الخلع بالقادسية قرب سامرّا ، قتلهُ بغا التركي واخذ رأسهُ فحملهُ الى ابن عمهِ المعتز ودفن بسامرّا « سُرَّ من رأى » وعمرهُ ثلاثون سنة وثلاثة اشهر. وكان نقش خاتمهِ : « **استعنت بالله.** »

١٣ — **المعتز بالله :** هو ابو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل الثالث عشر من الخلفاء العباسيين. بويع لهُ بالخلافة بعد خلع ابن عمهِ المستعين سنة ٢٥٢ هـ « ٨٦٧ م ». وكان طويلاً جسيماً ابيض مشرباً حمرةً ادعج العينين اقنى الانف حسن الوجه جعد الشعر كث اللحية كاملاً بالفضائل والادب والخلال الحميدة.

وفي ايامه استقل بملك مصر احمد بن طولون اول سلاطين مصر في الاسلام . واقام لهُ الخلفاء بملكة استقلوا بها ٣٥ سنة . وفي سنة ٢٥٥ هـ « ٨٧٠ م » اتفق الاتراك والفراعنة والمغاربة على خلع المعتز بالله لانهم طلبوا ارزاقهم فلم يكن عند المعتز مال يعطيهم اياه ، فصاحوا على بابهِ : اخرج الينا . فاعتذر من الخروج بانهُ شرب دواءً لكنه اذن في دخول بعضهم ، فلما دخلوا عليه الجأوه الى خلع نفسه ثم جروهُ برجليه الى باب الحجرة وضربوهُ بالدبابيس واقاموهُ في الشمس بيوم شديد الحر ثم سلموهُ الى من يعذبه ومنعوهُ الطعام والشراب ثلاثة ايام ثم ادخلوهُ سرداباً وحصصوا عليه فمات في شهر رمضان من السنة نفسها ودفن بسرٍّ من رأى في موضعٍ يقال لهُ السميدع عن ثلاثٍ وعشرين سنة . وكانت مدة خلافتهِ اربع سنين وستة اشهر واربعة عشر يوماً . ونقش خاتمهِ : « **محمد رسول الله .** »

١٤ — **المهتدي بالله** : هو ابو عبد الله محمد بن الواثق الرابع عشر من الخلفاء العباسيين ، بويع لهُ بالخلافة بعد خلع المعتز ابن عمهِ . وكان اسمر رقيقاً ومن احسن الخلفاء مذهباً واجملهم طريقةً وسيرةً واظهرهم ورعاً واكثرهم عبادةً . وكان يجلس للمظالم فيحكم حكماً يرتضيه الناس . وكان يتقلل في مأكولهِ وملبوسهِ . وكان قد حرَّم الغناء والملاهي وقضى بأن يُحدَّ شارب

الخمر كائناً من كان، ومنع اصحابه من الظلم والتعدي فابغضه الجند واهل الفساد. وكان سبب موته انه قتل بعض الموالي فشغب عليه الاتراك وهاجموا واخذوه اسيراً وعذبوه ليخلع نفسه فلم يفعل فقتلوه في يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب سنة ٢٥٦ هـ « ٨٧١ م » ودفن بسُرّ من رأى الى جانب المعتز وهو ابن سبع وثلاثين سنة. وكانت مدة خلافته احد عشر شهراً وسبعة عشر يوماً. وكان نقش خاتمه: « **هداني الله.** »

١٥ — **المعتمد على الله**: هو ابو العباس احمد بن جعفر المتوكل على الله خامس عشر الخلفاء العباسيين، بويع بالخلافة يوم خلع ابن عمه المهتدي وذلك يوم الثلثاء السادس من شهر رجب سنة ٢٥٦ هـ « ٨٧١ م ». وكان اسمر ربعة رقيقاً مدور الوجه مليح العينين صغير اللحية اسرع اليه الشيب منهمكاً باللهو والمسرات وكان مستضعفاً. واخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على اموره، فللمعتمد الخطبة والسكة والتسمّي بامير المؤمنين، ولأخيه طلحة الامر والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء. وفي ايامه خرج احمد بن طولون فظفر بحلب وانطاكية وبقية العواصم، واستقل بمصر واخذ خراجها وكانت يومئذٍ آهلة عامرة فاستقل بالولاية مدة ربع قرن.

وظهر بالكوفة قومٌ يُعرفون بالقرامطة نسبة الى رجل يسمى قرمط ادعى الالوهية فاحدث مشاغب وجاء برجاله فحاصر دمشق وقتل يحيى زعيم القرامطة ثم ولوا مكانهُ اخاهُ الحسين فجيَّش المكتفي سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) جيشاً على محمد بن سليمان فانتصر على القرامطة واستولى على دمشق. وهكذا انقرضت دولة بني طولون في مصر والشام.

وتوفي المعتمد يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة ٢٧٩ هـ « ٨٩٢ م » فجأةً ببغداد فحُمل الى سامرّا ودفن فيها. وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة ايام، وعمرهُ خمسين سنة. ونقش خاتمه : « **اعتمادي على الله وهو حسبي.** »

١٦ — **المعتضد بالله** : هو ابو العباس احمد ابن الامير طلحة ابن جعفر المتوكل، بويع بالخلافة يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة ٢٧٩ هـ « ٨٩٢ م » وهو السادس عشر من الخلفاء العباسيين، وكان اسمر نحيف الجسم قد وخطه الشيب في مقدم لحيته ولهُ في مقدم رأسه شامة بيضاء اقنى الانف، وكان ذا رأيٍ وحزم وشجاعة وعدل في الرعية، شهماً فاضلاً عاقلاً محمود السيرة، ولي والدنيا خراب والثغور مهملة فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكته وكثرت الاموال لديه. وكان قوي السياسة شديداً على اهل الفساد. وهو اول من سكن دار الخلافة ببغداد وانتقل

اليها من سامرّا ، ثم انتقلت دار الخلافة الى ابنته بوران زوجة المأمون فرمّمت القصر وفرشته باحسن فرش وزيّنته وربت فيه الجواري والخدم . ثم انه اضاف الى القصر ما جاوره ليوسع الدار بذلك وعمل عليه سوراً . وكان المعتضد يسمّى السفّاح الثاني لانه جدد ملك بني العباس وكانت ايامه ايام فتوح وخوارج . ومن اهم الاحداث في ايامه ايقاعه بالاعراب والاكراد في الموصل وقتله كثيرين منهم وفتحه قلعة ماردين وكانت لحمدان فهدمها وظفر بحمدان ملكها .

وتوفي المعتضد ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ (٩٠٢ م) في قصره المعروف بالحسين ببغداد ودفن ليلاً في دار محمد بن طاهر . وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوماً . ونقش خاتمه : « **احمد يؤمن بالله الواحد .** »

١٧ — **المكتفي بالله :** هو ابو محمد علي بن المعتضد ، بويع بالخلافة بعد موت ابيه في ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ « ٩٠٢ م » ولقب بالمكتفي بالله ، وهو السابع عشر من الخلفاء العباسيين . كان من افاضل الخلفاء دريّ اللون رقيق البشرة اسود الشعر حسن اللحية معتدل الطول حسن العقيدة كارهاً لسفك الدماء جميل الصورة يضرب في جماله المثل ، قال فيه الشاعر :

فليست بين جمالهِ وفعاله
فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي

واللهِ لا كلمتهُ ولو انهُ
كالبدر او كالشمس او كالمكتفي

ومن الاحداث في ايامهِ اعادة عمال مصر نواب الخلافة العامليين . وظهور القرامطة الذين قطعوا الدرب على الحج واقتلعوا الحجر الاسود من الكعبة فسرح المكتفي اليهم جيوشاً كثيرة فاوقع بهم حتى ابادهم وفتح انطاكية وكان الروم قد استولوا عليها . وظفر بستين مركباً من مراكبهم التي كانوا اتخذوها للغزو .

ومن آثاره الحميدة بناء التاج المشرف على دجلة بدار الخلافة وما وراءه من القباب والمجلس .

وكانت وفاة المكتفي عشية السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ٢٩٥ هـ (٩٠٨ م) بعد ان عهد بالأمر الى أخيه جعفر، ودفن بدار محمد بن طاهر بالحريم، وكانت مدة خلافته ست سنين وستة اشهر وعشرين يوماً .

١٨ — **المقتدر بالله** : هو أبو الفضل جعفر بن احمد المعتضد بالله ، بويع بالخلافة يوم مات اخوه المكتفي ، وهو الثامن عشر

من الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان حسن الوجه بعيدَ ما بين المنكبين جعد الشعر سمحاً كثير الانفاق ، ولي الخلافة ثلاث مرات فتغلب الجند عليه واتفقوا على خلعه وعقدوا البيعة لابن المعتز ، وكان ابن المعتز اكثر العباسيين فضلاً وأدباً واشعر الشعراء ، فارسل المقتدر وقبض عليه وقتلهُ في حبسه فاستقام الأمر لهُ بعد الاضمحلال وهذه ولايتهُ الثانية. ثم جرت بين المقتدر وبين مؤنس المظفر امير الجيوش منافرة ادت الى خلع المقتدر ومبايعة اخيه القاهر . ثم اعيد المقتدر ثالثة وحمله الجند على اعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وصفح عن اخيه القاهر. ثم وقع بينهُ وبين مؤنس حرب فتوغل المقتدر في المعركة فضربهُ واحد من البربر فسقط الى الارض فقال لضاربهِ : ويحك انا الخليفة ! فقال له: انت المطلوب. وذبحه بالسيف .

وفي ايامه نبعت الدولة الفاطمية بالمغرب وولي اخوه القاهر بالله. وكان قتل المقتدر يوم الاربعاء سابع عشر شوال سنة ٣٢٠هـ (٩٣٣م)، وكانت مدة خلافتهِ اربعاً وعشرين سنة واحد عشر شهراً . ونقش خاتمهِ : « **العظمة لله** . »

١٩ — **القاهر بالله** : هو ابو منصور محمد بن المعتضد، بويع بالخلافة يوم قتل اخوه المقتدر بالله ، وهو التاسع عشر من الخلفاء

العباسيين ، وكان ربعةً بين الرجال اسمر معتدل الخلق اصهب الشعر طويل الانف في مقدم لحيته طول ، وكان ذا سطوة وبأس ، قتل اولياء الدولة فخاف منه وزيره ابو علي بن مقلة ودبر على خلعه ، واجتمع ارباب الدولة والقواد فخلعوه وسملت عيناه وذلك يوم السبت سادس جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٥ م) وعاش بعد ذلك خاملاً الى ان مات سنة ٣٣٨ هـ (٩٥٠ م) وكانت خلافته سنة وستة اشهر وثمانية ايام . ونقش خاتمه : « القاهر بالله . »

٢٠ — **الراضي بالله** : هو ابو العباس احمد بن جعفر المقتدر بالله ، بويع بالخلافة يوم خلع عمه القاهر لستٍّ خلونَ من جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٥ م) وهو العشرون من الخلفاء العباسيين ، وكان قصيراً اسمر نحيف الجسم اسود الشعر في وجهه طول وفي مقدم لحيته تمام ، جواداً فاضلاً اديباً شاعراً . وفي ايامه ضعف امر الخلافة العباسية . فكانت فارس في يد ابن بويه ، والموصل وديار بكر في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد الفاطميين ، والاندلس في يد عبد الرحمن الاموي ، فلم يبقَ في يد الراضي سوى بغداد وما والاها فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وعم الخراب . وكانت وفاة الراضي في ليلة السبت سادس عشر ربيع الاول من سنة ٣٢٩ هـ « ٩٤١ م »

ودفن بالرصافة في تربة له منفردة . وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام . ونقش خاتمه : «الراضي بالله . »

٣١ — **المتقي بالله** : هو ابو اسحق ابرهيم بن جعفر المقتدر ، بويع بالخلافة يوم توفي اخوه الراضي ، وهو الحادي والعشرون من الخلفاء العباسيين ، وكان ابيض مشرباً حمرة قصير الانف في شعره شقرة كث اللحية اشهل العينين ، سهلاً في اخلاقه ، كثير الصلاح والصيام والعدل بين الملوك ، وله صدقات كثيرة ، وكان ديّناً حافظاً للعهد غير مكترث بجمع المال وحفظه .

وفي سنة ٣٣٣ هـ « ٩٤٤م » كان قد فوض امر الجند الى توزون التركي وجعله امير الامراء في بغداد . فغدر هذا بالخليفة وكفر بالنعمة وسمل عيني الخليفة المتقي واحضر المستكفي وبايعه . وكانت خلافة المتقي ثلاث سنين وخمسة اشهر وعشرين يوماً . وتوفي بعد ذلك بمدة طويلة يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة ٣٥٧ هـ « ٩٦٩م » وعمره ستون سنة . وكان نقش خاتمه : « ابرهيم بالله يثق . »

٣٢ — **المستكفي بالله** : هو ابو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله ، بويع بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقي بالله ، وهو الثاني والعشرون من الخلفاء العباسيين ، كان معتدل الجسم ربعة حسن الوجه ابيض مشرباً حمرة اسود الشعر خفيف العارضين اقنى

الانف ، وكان ذكياً لطيفاً لين الكلام تام المروءة .

وفي سنة ٣٣٤ هـ « ٩٤٥ م » مات توزون امير الامراء فعقد الاجناد الامر عليهم لابن شيرزاد ، ولما علم معز الدولة بن بويه والي الاهواز بموت توزون سار الى بغداد ودخل بعسكره الى دار الخلافة فسمل عيني المستكفي واجبره على خلع نفسه ومبايعة المطيع لله ، وما زال محبوساً الى ان توفي يوم الخميس سادس عشر ربيع الآخر سنة ٣٣٨ هـ « ٩٥٠ م » ودفن بالرصافة . وكانت مدة خلافته سنة واربعة اشهر ، وعمره ستاً واربعين سنة وشهرين . ونقش خاتمه : «**المستكفي بالله امير المؤمنين .**»

٢٣ — **المطيع لله :** هو ابو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر ، بويع بالخلافة في ثاني عشر جمادى الاخرى سنة ٣٣٤ هـ «٩٤٦م» وسمي المطيع لله ، وهو الثالث والعشرون من الخلفاء العباسيين .

وفي ايامه قويت شوكة آل بويه . وتم امره على ضعف الخلافة وطالت خلافته الى سنة ٣٦٣ هـ « ٩٧٤ م » فاعتراه مرض الفالج وقد ثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه ، فخلع نفسه من الخلافة وسلمها الى ولده عبد الكريم . وفي السنة التالية توفي في شهر المحرم ودفن بالرصافة في تربة عملها لنفسه عن ثلاث وستين سنة ، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر .

٢٤ — **الطائع لله :** هو ابو بكر عبد الكريم بن الفضل

المطيع لله ، بويع بالخلافة في ثالث عشر ذي القعدة سنة ٣٦٣ هـ « ٩٧٤م » ولقب بالطائع لله ، وهو الرابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، وكان مربوعاً اشقر حسن الوجه شديد القوة ، في خلقه حدة ، كريماً شجاعاً بطلاً جواداً سمحاً غير انهُ كان مغلوباً عليه من امرائه وما كان لهُ الا العظمة الظاهرة ، وكانت يده قصيرة مع ملوك بني بويه فقبضوا عليه وحملوه الى دار بهاء الدولة فخلع نفسه من الخلافة وسلمها الى اخيه القادر بالله ، وبقي عند اخيه مكرماً الى ان توفي ليلة عيد الفطر سنة ٣٩٣ هـ « ١٠٠٣ م » عن ستٍّ وسبعين سنة ودفن بالرصافة . وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية اشهر . ونقش خاتمه : «الطائع لله.»

٢٥ — **القادر بالله** : هو ابو العباس احمد ابن الامير اسحق ابن جعفر المقتدر الخامس والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة وكان هارباً من وجه المطيع ، فلما خلع ارسل اليه بهاء الدين ليحضر فحضر الى بغداد ودخل الى دار الخلافة فبايعه الناس ليلة الاحد ثاني عشر شهر رمضان سنة ٣٨١ هـ « ٩٩١ م » ، وكان ابيض حسن الوجه كث اللحية عريضها يخضب لحيته ، وكان دأبه التهجّد بالليل والنهار ، حسن الطريقة والسمت كثير الخير والدين والمعروف ، وفي ايامه رجع للدولة العباسية وقارها واخذت امورها في القوة ، لان الخلافة قبل القادر كان قد ذهب

رونقها بجسارة الديلم فاعاد القادر اليها بهجتها وجدد ناموسها . وكان لهُ في قلوب الناس هيبة ، وقد امتاز بطول مدة خلافته حتى ناهت على احدى واربعين سنة . توفي ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة من سنة ٤٢٢ هـ « ١٠٣٣ م » ودفن بدار الخلافة الى ان نقل تابوته الى تربة الرصافة . وكان عمرهُ ستاً وثمانين سنة وعشرة اشهر واحد عشر يوماً . ونقش خاتمه : **« القادر بالله . »**

٢٦ — **القائم بامر الله** : هو ابو جعفر عبد الله ابن الامام القادر ابن الامير اسحق بن المقتدر ، ولي الخلافة بعد وفاة ابيه القادر الذي كان عهد اليه فيها قبل وفاته ، وهو السادس والعشرون من الخلفاء العباسيين . كان طويلاً معتدل الجسم بديع الجمال بارع الكمال حسن الشمائل رقيق المحاسن ، خيّراً باهر الفضل كثير العبادة متهجداً لا ينام الا غفلةً ، وكان لهُ عناية بالادب محباً للعلم والعلماء ، الا انهُ كان مغلوباً بيد امرائه وطالت مع ذلك مدتهُ .

وفي ايامه انقرضت دولة بني بويه وظهرت الدولة السلجوقية التي تسيطرت على بغداد والعراق وتسمى زعيمها طغرلبك امير الامراء وتزوج بابنة الخليفة القائم .

توفي يوم الخميس ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ هـ « ١٠٧٥ م »

ودفن في حجرة بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة . وقبره يُتبرك به . وكانت مدة خلافته اربعاً واربعين سنة وثمانية اشهر . ونقش خاتمه : « العزة لله وحده . »

٢٧ — **المقتدي بالله** : هو ابو القاسم عبد الله ابن الامير محمد ذخيرة الدين بن القائم بامر الله ، بويع بالخلافة في صبيحة الليلة التي توفي فيها جده القائم فجلس بدار الشجرة من دار الخلافة بقميص ابيض وعمامة بيضاء وطرحة بيضاء ، وسمي المقتدي بالله . وهو السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين . وكان ابيض جميلاً طويلاً رقيق المحاسن حسن الشمائل مهيباً شجاعاً ذا همة عالية . وكانت آثار الخير في ايامه ظاهرة ومواطن العبادات عامرة .

وفي ايامه بني جامع المدينة وكثير من القناطر والمصانع في طريق مكة ، وحفرت الانهار التي كانت خربة كنهر سيلي والخالص ونهر بين والاسحاقي . وبنى منارة ام القرون الشهيرة . وكانت ايامه ساكنة الاطراف والرعية بين رخص عام وأمن تام . وكان السلطان في زمانه ملكشاه من آل سبكتكين فتزوج بابنته المقتدي بالله سنة ٤٨٠ هـ « ١٠٨٨ م » وفتحت طريق مكة وكانت قد سدت ولم يحجّ إلاّ من يغرّر بنفسه فجاءت الدولة المقتدية فحج الناس وشملتهم الكفاية والحماية . وتوفي ليلة السبت خامس عشر المحرم سنة ٤٨٧ هـ « ١٠٩٥ م »

فجأة فكتم موته ثلاثة ايام ثم دفن بدار الخلافة ونقل بعد ذلك الى تربة الرصافة . وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر وتسعة ايام . ونقش خاتمه : « من توكل عليه كفاهُ . »

٢٨ — **المستظهر بالله** : هو ابو العباس احمد بن المقتدي بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة ابيه ولقب بالمستظهر بالله ، وهو الثامن والعشرون من الخلفاء العباسيين . وكان طويلاً جميلاً ابيض مشرّباً حمرة لطيف المحاسن كريم الاخلاق سهل العريكة سخي النفس مؤثراً للاحسان محباً للعلم فصيح اللسان اذا دعي الى فعل الخير اجاب وان طُلب منه الانعام جاد ، لا يتعمد اساءة احد . غير انهُ كان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق .

توفي ليلة الخميس في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢هـ « ١١١٩م » عن احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوماً . ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة . وكانت مدة خلافته اربعاً وعشرين سنة وستة اشهر . ونقش خاتمه : « ثقتي بالله وحدهُ . »

٢٩ — **المسترشد بالله** : هو ابو منصور الفضل بن المستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة ابيه ولقب بالمسترشد بالله ، وهو التاسع والعشرون من الخلفاء العباسيين . كان اسمر اللون طويلاً رقيق البشرة في مقدم لحيته طول . وكان شجاعاً ديّناً مقداماً ذا

رأي وهمة عالية ، فقد احيا مجد بني العباس .

خرج الى قتال السلطان مسعود السلجوقي ، فلما قرب من همذان راسل مسعود جماعةً من عساكر المسترشد واستمالهم فانقلبوا على الخليفة وانضموا الى عساكر السلطان مسعود ، فتلاحم الفريقان وانهزمت جنود المسترشد فأسره السلطان واستولى على امواله وانزله في خيمة تليق به . ثم هجم جماعة من الباطنية على سرادق المسترشد وقتلوه ضرباً بالسكاكين ونقلوه الى باب مراغة فدفن فيها . وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية اشهر ، وعمره خمساً واربعين سنة . ونقش خاتمه : « من توكل على الله كفاه . »

٣٠ ــ الراشد : هو ابو جعفر منصور بن المسترشد ، بويع بالخلافة يوم وصل نعي والده ولقب بالراشد ، وهو الثلاثون من الخلفاء العباسيين . كان ابيض جسيماً مشرباً حمرةً جميل الطوية حسن السيرة كارهاً للفتن محباً للامن . الا ان للمقادير حكمها واخذ الثأر سنّة مقدسة عندهم ، فلم تطل مدة خلافته لانه جهز عسكراً لمحاربة السلطان مسعود ، فدخل السلطان بغداد واستبد بتدبير الامور وخلع الراشد وولى عمه ابا عبدالله .

فلما بلغ الراشد خلعه اظهر التمسك ببيعة الناس له ، فاستمر مقامه بالموصل ومنها خرج لزيارة قبر ابيه في مرغانة فسار الى

اصفهان فمرض ومات ودفن بشهرستان في سابع شهر رمضان سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) وعمره ثلاثون سنة . وكانت خلافته من يوم بويع الى ان خلع سنة واحدة . ونقش خاتمه : « **من آمن بالانتقال عمل للمآل .** »

٣١ — **المقتفي لأمر الله** : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المستظهر بالله ، بويع بالخلافة يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة سنة ٥٣١ هـ « ١١٣٦ م » ولُقّب بالمقتفي لأمر الله ، وهو الواحد والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، كان عبل الجسم تام الطول عالماً دمث الاخلاق كامل السؤدد . وكانت ايامه نضرة بالعدل تزهو بفعل الخير وانتشار العلوم ، وكان لا يجري في خلافته أمرٌ وان صغر إلاّ بتوقيعه ، وجرت في أيامه فتن وحروب بينه وبين سلاطين العجم كانت الغلبة فيها له . وثار في أيامه العيارون والمفسدون فقمعهم . وكان على غاية من الحلم ما استقاله احدٌ عثرته الاّ اقاله .

توفي ليلة الاحد ثاني شهر ربيع الاول سنة ٥٥٥ هـ « ١١٦٠ م » عن ستٍّ وستين سنة ، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً . ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة . وكان نقش خاتمه : « **كن من الله على حذر تسلم .** »

٣٢ — **المستنجد بالله** : هو ابو المظفر يوسف المقتفي لأمر الله ، بويع بالخلافة يوم توفي والده ولقّب بالمستنجد بالله ، وهو الثاني

والثلاثون من الخلفاء العباسيين. كان أبيض الوجه مشرباً حمرة ازج الحاجبين أشقر الشعر شهماً عارفاً بالامور، وكانت أيامه أيام خصب ورخاء وامن عام، ودولته زاهرة، وسياسته قاهرة، وكان آخر من عمل في ايامه بقواعد الخلفاء الماضين وجلوس وزيره بالديوان لرفع المكوس والمظالم، ولم ينته اليه أمرٌ إلاّ أزالهُ، وصفت له ايام خلافته واظهرت له الارض ما فيها من الذخائر واجتمعت له أموال كثيرة.

وفي ايامه ضعفت دولة الفاطميين بمصر. مرض في آخر الايام مرضة صعبة خنقه على أثرها أكابر دولته في الحمّام فقضى في تاسع شهر ربيع الاول سنة ٥٦٦ هـ «١١٧٠ م» ودفن بدار الخلافة عن ثمانٍ واربعين سنة ثم نقل الى تربة الرصافة. وكانت خلافته احدى عشرة سنة وشهراً وبعض ايام. ونقش خاتمه: «**من أحب نفسه عمل لها.**»

٣٣ — **المستضي بنور الله**: هو ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله، بويع بالخلافة يوم توفي والده وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة ولقّب بالمستضي بالله، وهو الثالث والثلاثون من الخلفاء العباسيين. كان ابيض اللون اقنى الانف ازج الحاجبين جميل الوجه سخياً جواداً حسن السيرة سليم السريرة كريم النفس، افرج يوم مبايعته عن المظلومين والمحبوسين واسقط الضرائب

والمكوس ورسوم البيع وسباقات الاعمال، وفي ايامه عُمل جسر ومُدّ على دجلة واضيف الى الجسر العتيق ، ونصبت الدواليب بباب الغربـــة الى الرقة فكثر ثناء الخلق عليـه ، ولم يكن بسيرته سوء .

توفي عشية السبت في السادس من شهر شوال سنة ٥٧٥ هـ « ١١٨٠ م » ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة بقصر المأمون في الجانب الغربي على شاطىء دجلة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة شهور . وكان نقش خاتمه : « **من فكّر في المآل عمل للانتقال** . »

٣٤ — **الناصر لدين الله** : هو ابو العباس احمد بن المستضي بنور الله ، بويع بالخلافة يوم وفاة أبيـه وعمره ثلاث وعشرون سنة ولقّب بالناصر لدين الله، وهو الرابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين . كان ابيض الوجـه مليح العينين صغيرهمـا ، ومن افاضل الخلفاء واعيانهم، بصيراً بالامور متوقّد الذكاء والفطنة . وطالت مدته وصفا له الملك واحب مباشرة أحوال الرعية حتى كان يتمشى في الليل في دروب بغداد ليعرف أخبار الرعية وما يدور بينهم . وفي ايامه كان ظهور صلاح الدين واستيلاؤه على مصر واستخلاصـه بيت المقدس من أيـدي النصارى الافرنج وازالة دولة الفاطميين .

توفي ليلة الاحد آخر شهر رمضان من سنة ٦٢٢ هـ «١٢٢٥م» ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة الى جانب جده المستنجد بالله . وكانت خلافته ستاً واربعين سنة واحد عشر شهراً . وعمره تسع وستون سنة وشهران وعشرون يوماً . ونقش خاتمه : « **رجائي من الله عفوه** . »

٣٥ — **الظاهر بامر الله** : هو ابو نصر محمد بن الناصر لدين الله ، تولى الخلافة بعد موت ابيه ولقّب بالظاهر بامر الله ، وهو الخامس والثلاثون من الخلفاء العباسيين . كان أبيض مستدير الوجه عبل الجسم كثير لحم العضدين موصوفاً بالقوة والشدة . فرّق اموالاً وبرّ الفقراء فأظهر العدل والاحسان واسقط المكوس وأنشأ جسراً نصبه على دجلة فصار لها جسران .

ولم تطل ايامه فمات يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ٦٢٢ هـ «١٢٢٦ م» ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة بجانب والده . وكانت خلافته تسعة اشهر واربعة عشر يوماً . ونقش خاتمه : « **راقب العواقب** . »

٣٦ — **المستنصر بالله** : هو ابو جعفر المنصور بن الظاهر بامر الله ، بويع بالخلافة يوم توفي والده ولقب بالمستنصر بالله ، وهو السادس والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، كان ابيض اللون مشرباً حمرةً مستنير البشرة واسع الصدر معتدل الخلق حسن السيرة والسريرة

ذا علم وعمل وعفو وحلم، شهماً جواداً، يواصل المنقطعين ويحسن الى المساكين، يعظم اهل الدين وينفق على ارباب، ويحب اهل الادب ويقرّب منه طلابه وله آثار جليلة. ومن محبته للعلوم عكف على نقل الكتب الدينية والادبية وانشأ خزانة الكتب وجمع فيها انواع العلوم على اختلافها، ثم انشأ مدرسة كبرى على شاطئ دجلة وجعلها وقفاً على المذاهب الاربعة ليحصل بها كمال المنفعة، هذا عدا ما انشأ من المشاهد والمساجد والقناطر ووسع الطرقات واعطى الثياب والخلع والجرايات في شهر رمضان.

توفي بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرى سنة ٦٤٠ هـ «١٢٤٢ م» ودفن في الدار المثمّنة على دجلة ثم نقل الى تربة الرصافة، وعمره اثنتان وخمسون سنة وستة اشهر وسبعة عشر يوماً. وكانت مدة خلافته ست عشرة سنة وعشرة اشهر وثمانية وعشرين يوماً. ونقش خاتمه: «العفو بك أولى.»

٣٧ — **المستعصم بالله**: هو ابو احمد عبد الله بن المستنصر بالله، بويع بالخلافة ضحوة نهار الجمعة عاشر شهر جمادى الاخرى سنة ٦٤٠هـ واستدعي من مسكنه بالتاج سرّاً من باب يفضي الى ظهر داره وأُجلس على سدة الخلافة وخوطب بامير المؤمنين فبايعوه ولقب المستعصم بالله، وهو السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين وآخر خليفة منهم.

وكان اسمر اللون مسترسل اللحية ربعة ظاهر الحياء لين الكلام دمث الاخلاق سليم النية لكنه كان ضعيف الرأي عديم التدبير واهي العزيمة، وكان وزيره مؤيد الدين بن العلقمي عدواً له يداريه في الظاهر ويتأففه في الباطن، وكان اسماعيلياً[1]، فصار يكاتب هولاكو ملك التتر[2] ويستحثه لأخذ بغداد. فزحف هولاكو

---

١ قال الشيخ شمس الدين بن الكوفي :

يا عصبة الاسلام نوحي والطمي حزناً على ما حل بالمستعصم
ذئب الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي

٢ هولاكو هو اخو جنكيز خان وخليفته على البلاد العربية .

كان التتر قبائل متفرقة في منغوليا موصوفين ببربريتهم وغلظ اكبادهم . فوحدها رجل سماه التاريخ غضب الله ويعرف « بجنكيز خان » نودي به خاقاناً على هذه القبائل سنة ١١٨٩ م وزحف بجموعها فاحتل الصين وبخارى وسمرقند ونيسابور والري وهمذان وواصل زحفه على بغداد .

وبعد وفاته تابع هولاكو الغزوات الصاخبة بجيوش جرارة، وحاصر بغداد حصاراً شديداً اربعين يوماً ونصب عليها المنجنيقات وامطرها بوابل من الحجارة والنار المشتعل واحدث في اسوارها الفجوات فاستسلمت .

ويقول ابن خلدون ان ٦٠٠،٠٠٠ اهلكوا في مذبحة بغداد خلال ستة اسابيع . وبعد ذلك عبر التتر نهر الفرات وافنوا سكان الرها وحران ونصيبين وذبحوا من سكان حلب خمسين الفاً وواصلوا زحفهم الى عين جالوت فالتقى بهم السلطان بيبرس فهزمهم وطهر البلاد منهم . ويعرف بالتاريخ بالملك الظاهر .

بعسكر جرّار الى بغداد والمستعصم ومن معهُ في غفلة عنه . فلما وصل الى ابواب المدينة ارسل الى الخليفة يطلبهُ إليه . فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وجمع من قدر عليه وبرز لقتاله باربعين الف مقاتل فثبتوا من اقبال الفجر الى ادبار النهار الى ان عجزوا فولوا الادبار ، فتتبعهم التتر ووضعوا السيف فيهم وقتلوا من المسلمين في ثلاثة ايام ما ينيف على ثلاثماية وسبعين ألف نفس ، وسبوا ورموا كتب مدارس بغداد في نهر دجلة ، فكانت لكثرتها جسراً يمرون عليه ركاباً ومشاةً ، ثم اخذوا المستعصم واولادهُ وجماعتهُ واتوا بهم الى هولاكو فاستصفى اموال الخليفة ودفائنهُ ، ورمى رقاب اولادهِ واتباعهِ ، وامر ان يوضع المستعصم في غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت ، ففعل بهِ ذلك سنة ٦٥٦ هـ « ١٢٥٨ م » فكانت مدة خلافته ست عشرة سنة وسبعة اشهر واربعة ايام ، وعمرهُ ستاً واربعين سنة .

وهكذا انقطعت خلافة بني العباس وهم سبعة وثلاثون خليفة اولهم السفاح وآخرهم المستعصم .

وكانت مدة ملك بني العباس منذ انتقلت إليهم الخلافة من بني أُميّة الى ان انقرض ملكهم خمسماية وستاً وعشرين سنة .

حضارة الدولة العباسية في بغداد

لما اضطرب حبل بني امية في الشام انتقل الملك الى بني العباس وهم عائلة شريفة يرجع نسبها الى العباس عم الرسول . فألّف العباسيون في بغداد دولة واسعة الاطراف كثيرة المحاسن جمة المكارم توالى على الخلافة فيها سبعة وثلاثون خليفة في مدة تنيف على الخمسة قرون تبتدىء من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦م .

وتنحصر حضارتها باربعة عصور تسمّى العصور العباسية . اشهرها العصر العباسي الاول الملقب بالعصر الذهبي الذي بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها بالثروة والحضارة ، لان ملوكها العشرة الاولين من اشهر الملوك والخلفاء . وكانت دورهم آهلة بالادباء والعلماء والشعراء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابان مجده .

والعلم لا يزهو الا بظل امير يتعهده ويأخذ بيد اهله ، والناس كما تكون ملوكهم .

فالدولة التي يكون ملوكها على هذه الصورة يجدر بها ان

تزهو بالعلم والعلماء ، اذ لا تجد نهضة الا كان للملك او الامير او للرئيس تأثير كبير فيها .

ذلك شأن الامم بالحكم المطلق . وقد قيل :

« ارادة الملك شريعة المملكة . »

وكما نصر العرب الدولة الاموية فجعلت قاعدتها دمشق على حدود بادية العرب نصر الفرس الدولة العباسية فجعلت عاصمتها بغداد على حدودهم ، حيث اتخذت وزراءها واكثر امرائها وقوادها منهم . فتضخّمت ثروتها وزهت حضارتها وتبسط اهلها في العيش . فتدفقت الاموال من بيت المال على اهل الدولة ومن التفّ حولهم من الاعوان . قال العلامة سليمان البستاني عن حضارة دولة العباسيين ما يلي :

قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ « ٧٥٠ م » والسلطنة الاسلامية موطّدة الدعائم مشيّدة الاركان ، وغزاة العرب ضاربون في المشارق يقوّضون ما تداعى من مباني الفرس والرومان فينبذون الانقاض البالية ويشيّدون على اسس الحزم دولةً قيّض الله لها ان تكون دولة العزة والسلطان في ذلك الزمان .

فامتلأت خزائن الخلفاء بكسب المجاهدين وجباية الاموال . وتسرّب ما فاض منها الى بيوت المقرّبين وصنائعهم من اميرٍ وفقيرٍ وعميدٍ وشريد . فذاقوا حلو حضارة الدولتين الهاويتين

وتبدّلوا مرقّسة عمر ذلك الدثار الرث الذي ضمّ بين ردنيه عماد الاسلام والمسلمين ببزة الخز والديباج . وعلالته من لبنٍ وتمر وايسر الادام بشهي طعام لماظته الفالوذج والسكباج . وذلك الرحل على بعيرٍ قارحٍ يمتطيه الخادم والمخدوم وهما سواء في شرع الاسلام ، بالسروج الموشاة على الجياد المطهمة تحفّ بها مواكب الحشم والغلمان .

فعلت القصور ووشيت الحدور وزها الرياش وانبسط المعاش .

السلاطين والامراء والعمال

نواب الخلفاء العباسيين في البلاد الاسلامية

لما انقسمت الدولة العباسية الى دويلات متعددة واستقل نظامها ظهرت الدولة السلجوقية وهم قوم من جنس الاتراك التترية تلقبوا بالسلجوقية نسبةً الى جدهم سلجوق وهو اول سلاطينهم ، فاخضعوا الدولة الغزنوية التي كانت قاعدتها مدينة غزنة اي افغانستان، وتغلبوا على اكثر ممالك الشرق، واقتسموا البلاد، وملكوا بغداد والعراق سنة ١٠٥٨م، وتزوج زعيمهم طغرلبك بابنة الخليفة العباسي القائم بامر الله ، فاقامهُ نائباً عنه في بغداد ولقبهُ بالسلطان

وقام بالسلطنة بعده ابن اخيه الب ارسلان . ثم ملك بعده ابنه ملكشاه فامتدت سلطنته من شطوط الصين الى نواحي القسطنطينية . وفي ايام هذه الدولة السلجوقية جاءت طوائف الافرنج الصليبيَّة الى الاراضي المقدسة وكانت اكثر حروبهم مع هذه الدولة .

وفي سنة ١١٧١ م تغلَّبت الدولة الايوبية الكردية على الاقطار

المصرية والشامية . ثم بعد ذلك بعشرين سنة نهض احد خانات خراسان بجيوش كثيرة واستخلص جميع الممالك السلجوقية فانقرضت . وكانت مدة ايامها نحو ٥٦ سنة .

وعند نهاية احكام الدولة المذكورة ظهر جنكيز خان الشهير وهو من قبائل المغول فاخضع كل البلاد الاسلامية .

ومن ذريته قام هولاكو ملك التتر وزحف بمائتي الف مقاتل الى العراق ففتح بلاد الري واصبهان وهمذان . ثم قصد مدينة بغداد سنة ١٢٥٨ م فحاصرها وافتتحها وقتل المستعصم كما مرّ . فانتقل منصب الخلافة الى ملوك التتر الذين استولوا على سائر الممالك الاسلامية .

انتقال الخلافة العباسية الى مصر

بعد ان قتل هولاكو ملك التتر الخليفة المستعصم سنة ١٢٥٨م واهلك آل العباس واجلاهم عن بغداد استقل بمملكة مصر احد مماليك الاتراك البحرية ركن الدين بيبرس البندقداري فقتل ملكها المظفر قطز وتلقب بالملك الظاهر سنة ١٢٦٠م، وذلك ان هذا الملك اصلى قبائل التتر ناراً حامية كان له فيها النصر عليهم في معركة « عين جالوت » فقضى على قواتهم ونظّف الجزيرة والشام منهم ، ونادى بنفسه ملكاً على مصر .

لكنه ما تولى زمام الحكم حتى ادرك ان العالم العربي محتاج الى زعيم ديني يجمع شمله برابطة الاتحاد . فاحيا الخلافة العباسية في القاهرة حيث استقدم الى الكنانة الامير الامام احمد من آل العباس بن الظاهر ابن الامام الناصر عم المستعصم الذي نجاه الملك الظاهر بيبرس من مذبحة بغداد .

ولما جاءه في السنة التالية عقد مجلساً حضره جميع القضاة والقواد وموظفو الدولة والعلماء والاشراف والتجار والاعيان، وشهد به الجميع امام قاضي القضاة فاثبت نسب احمد المذكور

وبويع بالخلافة في ١٢ ايار سنة ١٢٦١ م ولقب بالمستنصر بالله .

وكان اول من تقدم اليه وبايعه السلطان الظاهر بيبرس الذي انفق مالاً جسيماً في عمل آلات الخلافة وفي استخدام عسكرٍ له، ثم قاضي القضاة فالقضاة والعلماء والاشراف والاعيان . ثم سار في موكبٍ فخم الى المسجد الجامع ولبس البردة والقى الخطبة على المصلين وهو ينوب فيها عن صاحب الرسالة. وسُكّت النقود باسمه ودعي له ايام الجمعة .

وبعد اتمام المبايعة في الحفلة التقليدية أعلن ان بيبرس الظاهر يتمتع بلقب السلطان وقلّده الخلعة اللازمة . وهكذا انتقلت الخلافة العباسية من ضفاف دجلة الى ضفاف النيل. وعرف العالم العربي المستنصر بالله في القاهرة بعد مقتل المستعصم بالله في بغداد.

وبعد مدة جهز الخليفة المستنصر ليسير الى بغداد ويستخلصها من التتر . فسار بجيشٍ كثيفٍ والتقى على الفرات بأحمد العباسي من عقب هرون الرشيد. فصار أحمد الى المستنصر طائعاً له ورحلا معاً الى الحديقة . وكانت لهما مواقع مع التتر فُقد فيها المستنصر ولم يوقف له على اثر . فقدم احمد القاهرة وبويع بالخلافة ولقب بالحاكم بأمر الله . ومن ولدهِ كان جميع خلفاء مصر العباسيين. وقد استمروا في مصر على الخلافة الدينية ولا ولاية لهم الى سنة ١٥١٧ م حين تخلّى الخليفة الاخير منهم

عن الخلافة الى السلطان سليم الاول العثماني .

فكان عدد الخلفاء العباسيين في مصر خمسة عشر خليفة .

حضارة العرب في تجارتهم

ان التجار العرب كانوا أسياد التجارة في القرن الرابع للهجرة ، فاشتهروا بها وكانوا في ميادينها من السباقين . وقد اكتشفوا الطرق البرية والبحرية . فجابت قوافلهم أقاصي البلاد واجتازت الهند والتيبت والصين وتركستان وافريقية حتى خط الاستواء . وكانت سفنهم التجارية تمخر في بحار الصين والهند والقلزم والبحر الابيض والبحر الاحمر والشواطىء الافريقية .

وفضلاً عما عرف التاريخ من الاثرياء منهم كالشريف عمر الذي كان دخله السنوي ما ينيف على المليونين من الدراهم .

وكأحمد بن عمار الذي أثرى ثراءً فاحشاً وكان يتصدق كل يوم بمئة دينار ويحسن الى الطبقة العاملة حتى أدّى به ثراؤه الى تولي الوزارة في عهد المعتصم .

وكالحسن بن عبد الجصاص الذي كان تاجراً كبيراً بالجواهر في بغداد والقاهرة ، وكان بدء ثروته من بني طولون في مصر . وامتاز ابناؤه بالاشتغال بالجواهر حتى انهم جمعوا منها الضياع والدور والملايين .

ففضلاً عن كل ذلك لم تزدهر حضارة العرب في تجارتهم أكثر

من ازدهارها في ظل الامبراطورية العربية. لانه تبين ان الثروة لا تفيض الا في العواصم بجوار الخلفاء والوزراء الذين كانوا يبذلون الجوائز والاموال والهدايا والخلع للناس عن سَعةٍ.

وان هـــذا العطاء لطبقات الامة كان أصل الثروة. فاذا أنفقت الدولة انتعش رجالها وأفاضوا على الاسواق من خيراتهم. واذا قبضت يدها وقع الكساد.

قال ابن خلدون: « ان الدولة والسلطان هما السوق الأعظم للعالم. فاذا احتجن السلطان الاموال او الجبايات او فقدت فلم يصرفها في مصارفها قلّ حينئذٍ ما بأيدي الحاشية والحامية وانقطع أيضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم. فيقع الكساد حينئذٍ في الأسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج. لان الخراج والجباية انما تكون من الاعتمار والمعاملات ونفاق الاسواق. فان الدولة هي السوق الاعظم وام الاسواق كلها، وأصلها ومادتها في الدخل والخرج. فان كسدت وقلّت مصارفها فأجدر بمـــا بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك وأشد منه. » وهكذا نرى ان التجار وأرباب المهن الحرة لم يجدوا مجال الثروة أمامهم مفتوحاً في عصر الامبراطورية الزاهي الا حيثما استظلوا بظـل الخليفة والسلطان واستفادوا من رعايته ورعاية حكامه الذين كان بيدهم أمر الانفاق على الاطلاق.